

الأمانة

إن الدين الإسلامي هو دين القيم والأخلاق ، وما أرسل الله (عز وجل) نبينا (صلى الله عليه وسلم) إلا ليتمم صالح الأخلاق ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْخَلْقِ) (مسند أحمد).

ومن قيم الإسلام العالية وأخلاقه السامية خلق الأمانة ، والأمانة ضدّ الخيانة ، وهي: كلُّ حقٍّ لزمنا آداؤه ، ولزمنا المحافظة عليه (فيض القدير للمناوي). وقيل: هي كلُّ ما افترضَ على العباد فهو أمانة ، كصلاة وزكاة وصيام وأداء دينٍ ، وأوكدها الودائعُ، وأوكده الودائعِ كتم الأسرار (الكليات للكفوي). وهي بذلك تمتد لتشمل كل شرائع الدين.

مكانتها:

إن الأمانة من أعظم أخلاق الرسل والأنبياء ، فهم أمناءُ الله (عز وجل) على وحيه ، وقد وصف الله (عز وجل) بها خمسة من أنبيائه ورسله (عليهم السلام) في سورة الشعراء . وهم: نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب (عليهم السلام) . فقال تعالى على لسان كلِّ واحد منهم مخاطبا قومه: {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الشعراء: ١٠٧: ١٢٥: ١٤٣: ١٦٢: ١٧٨] ، وقال سبحانه وتعالى واصفاً كلمه موسى (عليه السلام) : {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الدخان: ١٧: ١٨].

فخلق الأمانة مما يجب في حق الأنبياء والرسل ، لذلك هم يأمرون

به، ويحثون عليه، ويؤكد ذلك سؤال هرقل عظيم الروم أبا سفيان عن دين الإسلام وعن صفة نبيه (صلى الله عليه وسلم) أخبره أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة ، فقال له هرقل: "هذه صفة نبي" فأبو سفيان في هذا الموضوع يذكر ما رآه أهم ما يميز الإسلام.

ولقد تَمَثَّلَ خلق الأمانة في أعلى صوره وأكمل معانيه في شخص سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى إن أعداءه وخصومه كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ، وحين هاجر (صلى الله عليه وسلم) أمر علياً بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه وأن ينتظر ليرد الأمانات المودعة عنده إلى أهلها، وهم قوم كفار ناصبوه العداء، وأخرجوه وآذوه وآذوا أصحابه وأخذوا كل ما يملكون، ذلك لأن المؤمن لا تحل له الخيانة حتى مع أعدائه، والله تعالى يقول: {وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى

سَوَاءٌ إِنْ لَمْ يَلِدْ لَمْ يَحْبُ الْخَائِنِينَ} [الأَنْفَال: ٥٨]، فالْمُؤْمِنُ لَا يَعْرِفُ الْخِيَانَةَ حَتَّىٰ مَعَ الْخَائِنِينَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَدُّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ أَيْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ).

كذلك التحلي بالأمانة علامة فارقة بين الإيمان والنفاق ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ) (متفق عليه)، فكمال الإيمان مشروط بالأمانة ، فهي المعيار الحقيقي للتدين ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: ما خطبنا نبي الله (صلى الله عليه وسلم) إلا قال: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) (مسند أحمد) ، ويقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): (لَا تَعْرُئِي صَلَاةُ امْرِئٍ وَلَا صَوْمُهُ، مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ صَلَّى، لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ) (مكارم الأخلاق للخرايطي)، وعن نافع: أن ابن عمر (رضي الله عنهما) طاف بالبيت سبعا وصلى ركعتين، فقال له رجل من قريش: ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن. فقال له ابن عمر (رضي الله عنهما): (أَنْتُمْ أَكْثَرُ مِنَّا طَوَافًا وَصِيَامًا، وَنَحْنُ خَيْرٌ مِنْكُمْ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَإِنْجَازِ الْوَعْدِ) (الآداب الشرعية).

كما أن التحلي بالأمانة من صفات السيادة والرياسة، والإنسان الأمين سيد بين الناس، يقول الإمام الشافعي (رحمه الله): (آلات الرِّيَاسَةِ خَمْسٌ: صِدْقُ اللَّهْجَةِ، وَكِتْمَانُ السِّرِّ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ، وَابْتِدَاءُ النَّصِيحَةِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ) (سير أعلام النبلاء). والنبي (صلى الله عليه وسلم) كان سيداً بين قومه فلقب قبل نبوته بالصادق الأمين .

وجدير بالذكر أن المحافظة على الأمانة من أعظم خصال الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة ، في طريق موصلٍ إلى الجنة ، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأُضْحَاجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون: ١- ١١].

صور الأمانة في الكتاب والسنة :-

للأمانة صور متعددة في الكتاب والسنة ، منها :-

١. أمانة عامة تشمل جميع ما افترضه الله تعالى علينا من طاعات وعبادات، ويدخل فيها أيضا الانتهاء عما حرم الله عز وجل ، وهذا هو المراد بقوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: ٧٢]، فالمراد بالأمانة هنا: أداء التكاليف الشرعية بأوامرها ونواهيها، فئاتم بالوأامر، وننتهى عن النواهي.

وقد عرض الله (عزّ وجلّ) هذه الأمانة على السماوات والأرض عرض تخبير لا إلزام . فرفض حملها خوفاً وخشياً، وتعظيماً لدين الله تعالى، لا معصية ومخالفة له (سبحانه وتعالى). فقال لهن: (أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟! قلن: وما فيها؟! قال: إن أحسنن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن. فقلن: لا يا رب نحن مسخراتُ لأمرِك لا نريد ثواباً ولا عقاباً) (تفسير البغوي)، والمراد بالسماوات والأرض: أهلها وسكانهما، ومن الممكن أيضا أن نستدل لتلك الأمانة العامة بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: ٢٧]، قال الإمام الماوردي (رحمه الله) : {وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ} فيها ثلاثة أوجه: أحدها: فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم. الثاني: فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا تخونوها بتركها. والثالث: أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان) (النكت والعيون) .

٢. أمانة خاصة وتشتمل على صور كثيرة متنوعة ، منها:

* إسناد الأمور إلى أهلها ، بمعنى: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب - بدون وساطة، أو محسوبة، أو رشوة - وخصوصا في الأماكن الهامة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: بينما النبي (صلى الله عليه وسلم) في مجلسٍ يُحدِّثُ القومَ، جاءه أعرابيٌّ فقال: متى الساعةُ؟. فمضى رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يُحدِّثُ، فقالَ بعضُ القومِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكْرَهُ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: (أَبْنِ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟) قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟. قَالَ: (إِذَا وَسَدَّ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) (رواه البخاري) ، وعن أبي ذرٍّ (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني (تجعلني عاملاً لك فتوليني أمراً من أمور المسلمين)، قال: فاضرب بيده على منكبي (كتفي) ثم قال: (يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا

يَحَقُّهَا ، وَادَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) (رواه مسلم). (إِنَّكَ ضَعِيفٌ) أي: ضعيف الإدارة ، ضعيف الخبرة لا ضعف إيمان.

* المحافظة على الجوارح والأعضاء من الوقوع في معصية الله (عز وجل) قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦]، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كنت خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ...) (رواه الترمذي) ، قال ابن رجب الحنبلي: (ومن ذلك حفظ الرأس والبطن... وحفظ الرأس وما وعى؛ يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات ، وحفظ البطن وما حوى؛ يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على محرم ، وقد جمع الله (عز وجل) ذلك كله في قوله تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}، ويتضمن أيضا حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشرب، ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله (عز وجل): اللسان والفرج) (جامع العلوم والحكم)، وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْإِنْسَانِ فَرْجُهُ وَقَالَ: هَذِهِ أَمَانَةٌ اسْتَوْدَعْتُكَهَا، فَالْفَرْجُ أَمَانَةٌ، وَالْأُذُنُ أَمَانَةٌ، وَالْعَيْنُ أَمَانَةٌ، وَالْيَدُ أَمَانَةٌ، وَالرَّجُلُ أَمَانَةٌ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ) (تفسير البغوي)، وكان أبو الطيب الطبري قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته ، فوثب يوما من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة (قفزة) شديدة، فعوتب على ذلك، فقال: (هذه جوارحُ حفظناها في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر) (تفسير ابن رجب الحنبلي).

* **المحافظة على البصر ، وغضه عن الحرام** ، قال تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر: ١٩] خيانتها ، ومسارقة النظر إلى ما نهى الله عن النظر إليه (تفسير البغوي) ، وزاد المسير بتصريف، وقال تعالى على لسان ابنة الرجل الصالح: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦]، وإنما سمته قويا ، لرفعه الحجر على رأس البئر الذي لا يستطيع أن يرفعه إلا عشرة رجال ، وقيل: لأنه استقى بدلوا لا يقلها إلا العدد الكثير من الرجال ، وسمته أميئا ، لأنه أمرها أن تمشي خلفه. عندما كانت الريح تضرب ثوبها فيصف بعض جسدها، فنادها: يا أمة الله ، كوني خلفي ودليني الطريق. (زاد المسير ، وتفسير ابن كثير بتصريف).

* حفظ الأسرار الزوجية ، فلا يحدث الزوج ولا الزوجة بما يكون بينهما عند
المعاشرة الزوجية ، فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ ،
وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا) (رواه مسلم) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم): (إن من أعظم
الأمانة) على حذف المضاف أي: أعظم خيانة الأمانة. (الرجل) على حذف المضاف أيضا
أي: خيانة الرجل.

* الأمانة في المشورة بصدق وإخلاص لمن طلبها ، فإذا أشير عليه بغير
الرأى الصحيح فذلك خيانة للأمانة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ) (رواه أبو داود) ، و (مؤتمن) أي: أمين
فيما يُسأل من الأمور ، فلا ينبغي أن يخون المستشار بكتمان مصلحته. (عون المعبود).

* حفظ الأموال، والودائع، ووردها إلى أصحابها عند طلبها،
وهذا هو المعنى المفهوم للأمانة عند كثير من الناس، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ
تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا
يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨]، فالآية وإن كان نزولها في واقعة خاصة
إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية عامة في كل مؤتمن على أي شيء
، وهذا قول أبي بن كعب ، والحسن، وقتادة (تفسير الماوردي)، وعن أبي هريرة (رضي
الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ ائْتَمَكَ ، وَلَا
تَخُنْ مَنْ خَانَكَ) (رواه أبو داود)، وهذا ما أمرنا به نبينا (صلى الله عليه وسلم) حين أمر
عليًا (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه ليلة الهجرة ؛ لكي يردَّ الأمانات ، والودائع إلى
أصحابها.

وقد بينَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أن خائن الأمانة سيعذب بسببها في النار،
وسوف تكون عليه خزيًا وندامة يوم القيامة، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ
لِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءٍ فِقِيلٌ هَذِهِ غَدْرَةُ فَلَانَ بْنِ فَلَانَ) (أخرجه مسلم)، فيا لها من فضيحة وسط
الخلائق!! تجعل المسلم حريصًا على الأمانة حافظًا لها ، ويكفي في خائن الأمانة قولاً أو
عملاً أن النبي (صلى الله عليه وسلم) خصيمه يوم القيامة ، فعن أبي هريرة (رضي الله
عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (ثَلَاثَةٌ أَنَا حَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ

كُنْتُ خَصْمَهُ خَصْمَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَمَهُ،
وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفِيَ مِنْهُ، وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ) (أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه).

ما أعظم هدي ديننا وهو يأمرنا بالحفاظ على الأمانة في كل شيء، لأن من
علامات قيام الساعة ضياع الأمانة والتفريط فيها والتهاون في أدائها، وتغليب المصالح
الخاصة على المصالح العامة فتقطع الأرحام ويُسَاء الجوار، فعن عبد الله بن عمرو بن
العاص (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ
الْفُحْشَ وَالتَّفْحُشَ، وَالدِّي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ
الْخَائِنُ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفْحُشُ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَسُوءُ الْجَوَارِ) (أَخْرَجَهُ أَحْمَد).